

المحاضرة السابعة اصول دعوة المرحلة الثالثة

ثالثاً: الجهالة

"والمأء غارق في الجهالة، ولا يشعر بجهالته فهو يكفر بربه ويرد دعوته الكريمة التي بعث بها رسله الى الناس ويصفها بأنها ضلال ويرمي مبلغها وهم الرسل الكرام بالسفاهة وخفة العقل. ويؤلب الدهماء عليهم ويكيد ضدهم ويعاديهم ويستغرب من دعوتهم ويدعي أن آية كذب الرسول أنه من البشر، وأنهم أي المأء أولى بالرسالة ممن أرسلوا، لأنهم - المأء - أكثر مالا وأعز نفراً، وأن الرسل الكرام يريدون تحويلهم عن ملة آبائهم ويأتونهم بدين جديد ما سمعوا به من قبل وأنهم - أي المأء - يسخرون ويستهنئون بالمؤمنين زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون ولهذا اتبعوا الدعوة الى الله واتبعوا رسل الله بلا رؤية ولا تمحيص ولا تأمل بينما هم لم يفعلوا ذلك لأنهم سادة أشرف يفهمون ويعقلون ويدركون.

وانهم يحسبون الأنبياء الكرام مفسدين في الأرض، وانهم - أي المأء - هم المصلحون المدافعون عن دين الناس وحقوقهم، وانهم في سبيل هذا الدفاع سيحاربون الأنبياء والدعاة الى الله تعالى. وهذه بعض آثار جهالتهم وحمقاتهم اخبرنا الله تعالى بها في آيات كثيرة، وهي من أسباب ضلالهم وحمقاتهم، وهي من أسباب ضلالهم وعدم انتفاعهم بهدى الله تعالى، فمن ذلك:

١- قال تعالى عن قوم نوح {قال المأء الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين} فهم لجهالتهم، يقولون لنبيهم نوح عليه السلام: لست بملك ولكنك بشر فكيف أوحى إليك من دوننا؟ ثم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ولم يتبعك الاشراف ولا الرؤساء منا. وهذا كله من جهالتهم وإلا لو كان لهم عقل لعلموا أن لا بد أن يكون الرسول من البشر حتى يمكن أن يخاطبهم ويمكن لهم أن يفهموه كما أنهم لو كان لهم عقل سليم لعلموا أن الحرمان والفقير والضعف لا علاقة لشيء منها في أمور الديانة وأن الضعفاء والفقراء باتباعهم الحق يبرهنون على حسن ادراكهم وصفاء نفوسهم.

٢- وقال تعالى عن قوم ثمود وما قالوه لنبيهم صالح {قال المأء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون} سورة الاعراف الآية: ٧٥-٧٦، فالمأء من ثمود كانوا مصرين على جهالتهم وانكارهم نبوة صالح عليه السلام وانما سألوا المؤمنين سؤال منكبر جاهل لا سؤال متفهم متواضع.

المأء هم المأء في كل مكان وزمان

والملا بأوصافهم وأخلاقهم التي بينها القرآن الكريم يوجدون في كل مجتمع وفي كل مكان وزمان ولهذا فهم يقفون غالباً في وجه كل دعوة الى الله تعالى ويحاربونها بدافع من الكبر الذي يغطى نفوسهم وبدافع حب الرياسة على الناس وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة الاصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفعهم. ومما يدل على بقاء الملا في كل زمان ومكان معارضين لكل دعوة طيبة خيرة تريد الاصلاح وايصال الناس الى خالقهم، ان الدوافع التي دفعت الملا من الأقسام الماضية الى محاربة رسل الله والدعوة إليه، هي نفسها توجد في نفوس الكبراء والمترفين، فالكبر يعلق في النفوس المريضة والحرص على الرياسة والجاه والمنزلة موجود في النفوس وإنما ينقمع بالإيمان، والجهل يخيم على مثل هذه النفوس التي تعشق العلو في الأرض والترف في الحياة، وإذا ما دخل أصل الإيمان في نفوس السادة والكبراء والاشراف، فإن هذا الايمان يبقى ضعيفاً غالباً لا يقوى على منعهم من الصد عن سبيل الله ولا عن محاربة الدعاة الى الله تعالى بشبهات واهية من جنس شبهات الملا القدامى الذين حاربوا رسل الله وصدوا عن دعوتهم المباركة وقد تنبه المفسرون الى أن (الملا) يبقون معارضين للدعوة الى الله. جاء في تفسير ابن كثير بصد قوله تعالى: {قال الملا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين} قال: وهكذا حال الفجار انما يرون الأبرار في ضلاله [10]. وقال أيضاً في مكان آخر من تفسيره: ثم الواقع غالباً أن من يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الاشراف والكبراء مخالفته.
